



إبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

سبتمبر ٢٠١٥

أحباي، سلام ونعمة.

تأخذنا رحلتنا، هذا الشهر، مع كتاب "السلم إلى الله" إلى واحدة من أعظم الفضائل التي نعرفها جيداً والتي نذرنا أمام الله أن نحافظ عليها، وهي فضيلة الطاعة المباركة. دعونا نحص مدى إدراكنا لهذه الفضيلة ونفسر الأسباب التي تعطلنا عن إقتناءها.

كثيراً ما أسمع ما يُقال عن أن الرهبنة الحقيقية وُجدت في القرن الرابع فقط، في زمان كان فيه الرهبان نُسًاك والتقنيات الحديثة غير موجودة. وتُعد المقارنات بروح غرضها تثبيط العزم لترغم أننا من غير الممكن أبداً أن نفتني نفس الفضائل، لأن طرقنا في الوقت الحالي شديدة الاختلاف عن الماضي، وأن ما نتعلمه من آباء البرية لا يمكن تنفيذه على الإطلاق في عصرنا هذا. ومع ذلك، أرى أن هذه الحجة ببساطة هي عذرٍ واهٍ من قِبَل هؤلاء الذين لا يبغون بذل الجهد في السير في الطريق الضيق.

بنعمة الله، عندما يكون هناك عزم، يكون هناك السبيل لتحقيق ما نبغاه. وبالرغم من أن كل القديسين الأبرار في الكتاب المقدس كانوا محاطين بأهله كثيرة غريبة وسلوكيات شريرة إلا أنهم لم يلجأوا إلى إتخاذ الظروف الخارجية كعذر ليهملوا تنفيذ وصايا الله. لا بد وأن القديس يوسف قد شعر بشعور الإستحقاق في بيت أبيه لأنه كان مُفضلاً ومكرماً جداً، ولم يتصور على الإطلاق أنه في يوم ما سوف يعاني كثيراً ويفقد ثقته، هذه الثقة التي كانت تجعله يشعر بالأمان التام. وبالرغم من ذلك، عندما إتخذت الأحداث في حياته منعطفاً غير متوقفاً، تسليمه لإرادة الله جعله يتضع وغيره ليصبح يوسف الصديق - القديس الذي نعرفه اليوم.

إذن، فالطاعة ليست شيئاً من الماضي عندما كانت البيئة مناسبة لها. إنها نذر نأخذها اليوم وعزيمة على تسليم عقولنا، وأجسادنا، وأرواحنا في يدي الله الذي يريد لنا أكثر بكثير من أن ندرك. قيل أن القديس يوسف كان نبوةً لربنا يسوع المسيح الذي "مَعَ كَوْنِهِ إِنَّا تَعَلَّم الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّم بِهِ. وَإِذْ كَمَل صَارَ لْجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلَاصٍ أَبَدِيٍّ".^١ يا لها من قضية خاسرة لو أننا في اليوم الأخير، عندما نطالب بأن نعطي حساباً عن أنفسنا أمام الله^٢، قدمنا له كل هذه "الأسباب الجيدة" التي بسببها لم نفعل ما كان يجب علينا أن نفعله. إن عدم طاعتنا، أو بالحري، كسرنا للنذر، ينبع من الداخل وليس من الخارج؛ وعندما نعترف بهذا أمام أنفسنا يمكن عندئذ أن نبدأ في بناء رهبنة القرن الرابع المثالية داخلياً، وبنعمة الله، نفتني نفس الفضائل التي سبقنا إليها الرهبان القدامى.

إذن، ما الذي يعوقنا عن تنفيذ هذه الوصية المباركة؟ أتصور أن هناك عدة أسباب كلها نتيجة لقلّة إيماننا في الله. وبناءً على ذلك، فإن قلّة الإيمان هذه تسوقنا إلى ألا نخضع بسبب الخوف ونبدأ في الاعتماد على حكمتنا الخاصة.

١ عب ٥: ٨-٩

٢ رو ١٤: ١٢

يقول يوحنا الدرجي أن "الطاعة جحود كامل للنفس، مُعبر عنه جهراً بالأعمال الجسدية".^٣ لذا، يمكن أن يقال عن الإنسان غير المطيع أنه لم يحدد العالم من أجل ملكوت الله. ونحن نفعل هذا كنتيجة لقلّة إيماننا، التي تفرض علينا أن نسأل "لماذا؟" عندما نواجه المصاعب ونتمم مشيئتنا الخاصة من أجل الشعور بالأمان. كبرياءنا لا يسمح لنا أن نكون خاضعين، لأننا بهذا، نُسلم بمستقبل مجهول، لأحداث غير متوقعة، ولتجارب من الخزي والعار. لا، بل بالأحرى نختار أن نتحكم في حياتنا و أن ندافع عن أنفسنا عندما نواجه بظروف سيئة. ومع ذلك، قيل أن "الطاعة هي ترك الإفراز بغنى الإفراز".^٤ وأنك "لست تقدر أن تهرب من الخجل إلا بالخجل".^٥ ولذلك يا أحبائي، خذوا حذرکم، وصلّوا دائماً أن يحركم الله من رباطات فهمنا الخاص وأن يملأكم بفرح إخضاع مشيئتكم للآخرين، وبالتالي تتممون مشيئته.

كيف يكون حالنا لو أن القديسة مريم كان لديها روح العصيان؟ كيف يكون حالنا لو كانت إغتازت أن والديها قدموها للهيكل في سن صغيرة كهذه؟ هل كانت ستتمرد وتقول أن الوقت قد حان لتصنع قراراتها بنفسها؟ هل كانت سوف ترفض خطبتها من القديس يوسف؟ هل كانت ستتناوض مع الملاك حينما زارها؟ ربما، ولكننا نشكر الله أن أمنا الحبيبة لم تجادل وأطاعت الله بإتضاع في كل مناسبة في خلال حياتها المباركة. "بَلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ وَيَحْفَظُونَهُ".^٦ يقول الدرجي: "الطاعة، قبر المشيئة وقيامه التواضع. الميت لا يجادل، ولا يحكم على ما هو صالح أو على ما يبدو رديئاً؛ لأن الذي أمات بتقوى الله نفس التلميذ، هو يعتذر عنه في كل شيء".^٧ لذا، فإني أتساءل- لو أن الله كان لديه عملاً عظيماً ليتممه على الأرض ونظر من علوه ليختار خادماً له، هل سيختارك؟ هل أنت، كخادم لله، كنت منذ بداية رحلتك معه خاضعاً ومطيعاً لمشيئته؟ هل يضع الله ثقته بك مثلما كان مع القديسة مريم، أو موسى، أو إبراهيم، أو أيوب، أو دانيال، أو القديس يوسف النجار؟ هل سيستطيع الله أن يقول: "يا بني إن أقبلت لخدمة الرب الإله فاثبت على البر والتقوى وأعد نفسك للتجربة".^٨ وأيضاً "لَأَيُّ عَرَفْتُ الْأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ"^٩ وأعرف أنك ستكون الخادم الأمين. "لَأَ تَخْفُ لَأَيُّ مَعَكَ".^{١٠} أم أن قصتك أكثر شبيهاً بقصة شاول- تعرف الصواب، بل من أجل كبرياتك والظروف الخارجية، تجادل وتعصي مشيئة الله؟ "هناك بين العائشين في الطاعة من يخدعون أنفسهم، لأنهم إذ يلاحظون الرئيس وتساهله، يسألونه خدماً مناسباً لهوهم. أولئك فليعلموا أنهم حين ينالون رغبتهم، يجرمون أنفسهم تماماً من إكليل

^٣ السلم إلى الله - القديس يوحنا الدرجي - الدرجة الرابعة - في الطاعة المغبوبة، ص ٦٢.

^٤ نفس المرجع ص ٦٣

^٥ نفس المرجع ص ٩٠

^٦ لو ١١: ٢٨

^٧ السلم إلى الله - القديس يوحنا الدرجي - الدرجة الرابعة - في الطاعة المغبوبة، ص ٦٣.

^٨ سيراخ ٢: ١

^٩ أر ٢٩: ١١

^{١٠} أش ٤١: ١٠

اعترافهم، لأن الطاعة غريبة بالكلية عن الرياء والمشيمة الذاتية".^{١١} تذكر كلمات الدرجي "أن إبليس فقط يستحيل أن ينقض مشيئته".^{١٢}

أحبائي.. لقد وُهبنا مثال الكمال لتبعه- ذاك الذي أعطينا حياتنا. يجب علينا أن نحبه: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ"^{١٣} يجب علينا أن نعرفه: "وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَا: إِنْ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ. مَنْ قَالَ: «قَدْ عَرَفْتُهُ» وَهُوَ لَا يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ".^{١٤} يجب علينا أن نحكيه: "وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقًّا فِي هَذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ. بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هَكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا".^{١٥}

إن الرهينة الحقيقية ليست شيئاً من الماضي، والطاعة الحقيقية لا تتغير تبعاً للزمن. إذا كانت شهوة قلبك هي أن تقتني آثار مَنْ سبقوك وأن تُقدم نفسك ذبيحة حية لله، إذن تعلم أن تتضع من خلال خضوعك للآخرين. يبحثنا الدرجي بقوله أن "الذين يعيشون في السكون، خاضعين لأب روعي، ليس لهم أخصام سوى الشياطين. أما الذين يعيشون في شركة، يصارعون مع الشياطين والناس سوية. الأولون، لكونهم تحت نظر معلمهم كل حين، يحفظون وصاياهم بكثير من العناية والتدقيق؛ أما الآخرون فلكونهم ليسوا دائماً في حضرته، ينقصون في الطاعة قليلاً. مع ذلك، فإن الحريصين الكادحين يسدون هذا النقص بوفرة، بصبرهم على المحن والمصادمات ويحصلون أكاليلاً مضاعفة".^{١٦} "تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ".^{١٧} وأيضاً "إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضًا مَعَهُ".^{١٨}

"هذه الدرجة تساوي في عددها عدد المبشرين، فواصل أيها المجاهد سعيك لا خوف".^{١٩}

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.

^{١١} السلم إلى الله - القديس يوحنا الدرجي - الدرجة الرابعة - في الطاعة المغبوظة، ص ١٠١.

^{١٢} نفس المرجع ص ١٠٢.

^{١٣} يو ١٤: ١٥

^{١٤} ٤-٣: ٢ يو ١٥

^{١٥} ٦-٥: ٢ يو ١٥

^{١٦} السلم إلى الله - القديس يوحنا الدرجي - الدرجة الرابعة - في الطاعة المغبوظة، ص ٩٤.

^{١٧} أم ٣: ٥

^{١٨} ١٢ تي ٢: ٢

^{١٩} السلم إلى الله - القديس يوحنا الدرجي - الدرجة الرابعة - في الطاعة المغبوظة، ص ١١٠.